دفاعا عن

الفرقة الناجية

كتبه:

د : محمد بن غالب العُمري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

فإنه لما تكلم في مصطلح الفرقة الناجية من تكلّم بغير علم تارة ، وبالهوى تارة أخرى، وبمصالح حزبية تارات، رادا في ذلك حديث الافتراق مضعفا له دون برهان صحيح، ولا كلام علمي محقق، وإنما غاية ذلك تنميق الكلام، وإلقاء العبارات والإطلاق في الألفاظ دون علم وبصيرة، رأيت أن أكتب مختصرا في ذلك، راجيا أن يتقبل الله مني عملي هذا دفاعا عن الطائفة المنصورة التي أخبر عنها نبينا صلى الله عليه وسلم، والتي من أبرز صفاتها الحرص على جماعة المسلمين والسمع والطاعة لولي أمرهم.

والله تعالى الموفق للصواب ومنه أستمد العون والسداد.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حديث الافتراق :

ورد حديث الافتراق في كتب السنن والمسانيد والجوامع وغيرها، وله ألفاظ عدة، ومن تلك الألفاظ ما رواه أبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»، وفي لفظ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

من أخرج الحديث :

الحديث أخرجه أبو داود (4597)، والترمذي رقم (2641) ، وابن ماجه (3991-3993)، وأحمد (135/28)، (120/3، 145)، (120/4)، والحاكم في المستدرك (128/1)، والدارمي رقم (2560)، والطبراني في الكبير [8/ (رقم8035)، (رقم8051)، (رقم7659)، والأوسط (137/5) برقم (4886)، وفي الصغير (784)، والآجري في الشريعة (307/1، رقم 23) ، وابن أبي عاصم في السنة (63)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (100-102/1)، والطبري (239/27)، وابن

بطة في الإبانة (375/1-367، رقم 263-275)، وأبو يعلى في مسنده (340/6-342، رقم3668)، وابن حبان في صحيحه (48/8، رقم6214)، وابن أبي شيبة في المصنف (308/15، رقم19738)، والمروزي في السنة (50) والبغدادي المخلّص في المخلصيات (169/1، برقم 158) وأبو نعيم الأصبهاني في الحلية (8/5) والبيهقي في الاعتقاد (233/1)، وفي معرفة السنن والآثار (319/14) والضياء في المختارة (90/7 برقم 2500) وابن وضاح في البدع (برقم250) وغيرهم .

من صحح الحديث واستدل به عدا من سبق :

ابن جزي في تفسيره (161/1)، والسمعاني (213/4)، وابن كثير (10/2)، والشوكاني (539/2)،وصديق حسن خان في كتابه فتح البيان (289/4)، والعراقي في طرح التثريب (148/6)،والعيني في عمدة القاري (195/11)، وعلي قاري في مرقاة المفاتيح(1915/5)، والشاطبي في الاعتصام (669/2)، وابن الملقن في التوضيح (336/32)، وغيرهم.

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: "هو حديث صحيح مشهور" وأورده الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة (480/3).

من ذكر مصطلح الفرقة الناجية:

أولا: الكتب المذكور في تسميتها لفظة الفرقة الناجية :

1- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري رحمه الله.

2- الْفرق بَين الْفرق وَبَيَان الْفرْقَة النَّاجِية مِنْهُم، لعبد القاهر الْبَغْدَادِيّ رحمه الله.

3- التبصرة في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين لأبي المظفر الإسفرائيني رحمه الله .

ثانيا: بعض من ذكر هذا المصطلح ضمن كتبه على اختلاف مذاهبهم:

أولا: قال الحافظ ابن حبان رحمه الله(ت354 هـ) في:"ذِكْرُ وَصْفِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مِنْ بَيْنِ الْفِرَقِ الَّتِي تَفْتَرِقُ عَلَيْهَا أُمَّةُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".[صحيح ابن حبان (178/1)].

ثانيا: قال أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله (ت 370هـ):"واعلموا أن الله تعالى أوجب في كتابه محبته ومغفرته لمتبعي رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

كتابه، وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتبعة".[اعتقاد أئمة الحديث (ص79)].

ثالثا: قال ابن بطة العكبري رحمه الله(ت387 هـ):" وَأَنَا أَذْكُرُ الْآنَ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَمَا أَعْلَمَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَوْنِ ذَلِكَ لِيَكُونَ الْعَاقِلُ عَلَى حَذَرٍ مِنْ مُسَامَحَةِ هَوَاهُ، وَمُتَابَعَةِ بَعْضِ الْفِرَقِ الْمَذْمُومَةِ، وَكَيْ يَتَمَسَّكَ بِشَرِيعَةِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، فَيَعَضَّ عَلَيْهَا بِنَوَاجِذِهِ، وَيَضُمَّهَا بِجَنْبَيْهِ، وَيَلْزَمَ الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الِالْتِجَاءِ وَالِافْتِقَارِ إِلَى مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، فِي تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَمَعُونَتِهِ وَكِفَايَتِهِ، فَإِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ لَهُ فِيهِ دِينُهُ، وَالنَّجَاةُ فِيهِ مُتَعَذِّرَةٌ مُسْتَصْعَبَةٌ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَأَحْيَاهُ بِالْعِلْمِ".[كتابه الإبانة الكبرى (1/ 366)].

رابعا: قال عبد القاهر البغدادي رحمه الله(ت 429هـ):"وطلبتم الْفرق بَين الْفرْقَة النَّاجِية الَّتِي لَا يزل بهَا الْقدَم وَلَا تزُول عَنْهَا النعم وَبَين فرق الضلال الَّذين يرَوْنَ ظلام الظُّلم نورا واعتقاد الْحق ثبورا".

وبوب في كتابه : الفرق بين الفرق (ص3) :بَاب فِي بَيَان الْفرْقَة النَّاجِية وَتَحْقِيق نجاتها.

خامسا: قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله (ت449هـ) : "واعلموا أن الله تعالى أوجب محبته ومغفرته لمتبعي رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه،

وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتبعة".[اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث (ص 414)]

سادسا: قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله(ت 535هـ):

" فَصْلٌ فِي ذِكْرِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ".[الحجة في بيان المحجة (1/ 117)].

سابعا: قال الشهرستاني رحمه الله(ت 548هـ):" وتمييز الفرقة الناجية عن سائر الفرق".[في الملل والنحل (1/ 195)]

ثامنا: قال ابن قدامة رحمه الله(ت 620هـ): "فَأخْبر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَن الْفرْقَة النَّاجِية هِيَ الَّتِي تكون على مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابه، فمتبعهم إِذا يكون من الْفرْقَة النَّاجِية؛ لِأَنَّهُ على مَا هم عَلَيْهِ ومخالفهم من الاثنتين وَالسبْعين الَّتِي فِي النَّار؛ وَلِأَن من لم يتبع السّلف رَحْمَة الله عَلَيْهِم، وَقَالَ فِي الصِّفَات الْوَارِدَة فِي الْكتاب وَالسّنة قولا من تِلْقَاء نَفسه لم يسْبقهُ إِلَيْهِ السّلف فقد أحدث فِي الدّين وابتدع".[ذم التأويل (ص: 29)].

تاسعا: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (ت774هـ):" كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ أَنَّهُ سُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: "مَا أَنَا عليه [اليوم] وأصحابي". [تفسير القرآن العظيم (6/ 317)].

عاشرا: قال الشاطبي رحمه الله(ت 790هـ): "فَالسَّالِكُ سَبِيلَهَا مَعْدُودٌ فِي الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَالنَّاكِبُ عَنْهَا مَصْدُودٌ إِلَى الْفِرَقِ الْمُقَصِّرَةِ أَوِ الْفِرَقِ الْغَالِيَةِ ".[الاعتصام (6/1)]

الحادي عشر: قال السيوطي رحمه الله(ت911هـ):"وأهل الفرق الضالة ست، وقد انقسمت كل فرقة منها اثني عشر فرقة، فذلك اثنان وسبعون فرقة، هم الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم في النار، ولسنا نحن هنا بصدد بيانها، ولكن من لزوم السنة والجماعة وأعرض عن أصول هذه البدع وفروعها كان في الفرقة الناجية بفضل الله تعالى".[الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص94)]

الثاني عشر: قال السفاريني رحمه الله(ت 1188هـ):"مَذْهَبُ السَّلَفِ هُوَ الْمَذْهَبُ الْمَنْصُورُ، وَالْحَقُّ الثَّابِتُ الْمَأْثُورُ، وَأَهْلُهُ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، وَالطَّائِفَةُ الْمَرْحُومَةُ الَّتِي هِيَ بِكُلِّ خَيْرٍ فَائِزَةٌ، وَلِكُلِّ مَكْرُمَةٍ رَاجِيَةٌ"[كتابه لوامع الأنوار البهية (1/ 25)].

الثالث عشر: قال أبو البركات الألوسي رحمه الله (ت 1317هـ):" اجتمعت الفرقة الناجية أنه سبحانه منزه عن مشابهته لخلقه في ذاته وصفاته، وأنه سبحانه ليس بجسم، خلافاً للمجسمة والمشبهة".[جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص384)]

الرابع عشر: قال أبو المعالي الألوسي رحمه الله(ت1342هـ) : فينظر إلى الفرق ومعتقداتها وأعمالها، فمن وافقت النبي صلى الله تعالى وسلم وأصحابه هي الفرقة الناجية".[صب العذاب على من سب الأصحاب (ص: 262)]

الخامس عشر: قال ملا علي قاري رحمه الله(ت 1014هـ):"فَعَلَيْكَ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَبِالِاجْتِنَابِ عَنْ طَرِيقِ أَرْبَابِ الْهَوَى، وَأَصْحَابِ الْبِدْعَةِ ; لِتَكُونَ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ السَّالِكَةِ طَرِيقَ الْمُتَابَعَةِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِقَامَةِ".[مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (11/1)].

السادس عشر: قال مرعي بن يوسف الكرمي رحمه الله(ت 1033هـ) : "وَقَالَ فِي صفة الْفرْقَة النَّاجِية هُوَ من كَانَ على مثل مَا أَنا عَلَيْهِ الْيَوْم وأصحابي"[أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص 230)].

السابع عشر: قال العلامة الصنعاني رحمه الله:"كل فرقة تزْعم أَنَّهَا هِيَ الْفرْقَة النَّاجِية ثمَّ قد تقيم بعض الْفرق على دَعْوَاهَا برهانا أَوْهَى من بَيت العنكبوت".[افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة (ص78)].

الثامن عشر: قال العلامة ابن باز رحمه الله: "فهذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث الصحيحة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : «كل أمتي

يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: يا رسول الله: من يأبى. قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » - كلها تدل على أن الفرقة الناجية من هذه الأمة هم المتمسكون في عقيدتهم وأقوالهم وأعمالهم بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم "[مجموع فتاوى ابن باز (4/ 265)].

التاسع عشر: قال العلامة الألباني رحمه الله :"إذا كان من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين قد أُوْعِدَ بالنار،فالعكس بالعكس: من اتبع سبيل المؤمنين فهو مَوْعود بالجنة ولاشك ولا ريب،إذن رسول الله لما أجاب عن سؤال: ما هي الفرقة الناجية؟ من هي؟قال: «الجماعة»،إذن،الجماعة: هي طائفة المسلمين،ثم جاءت الرواية الأخرى تُؤَكِّدُ هذا المعنى بل وتزيده إيضاحاً وبياناً،حيث قال عليه السلام: «هي ما أنا عليه وأصحابي»، «أصحابي» إذن هي سبيل المؤمنين" [موسوعة الألباني في العقيدة (219/1)].

العشرون : قال العلامة العثيمين رحمه الله:" أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما صح عنه أنَّ اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وَأَن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وهذه الفرق كلها في النار إلا واحدة، وهي ما كان على مثل ما كان عليه

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وهذه الفرقة هي الفرقة الناجية التي نجت في الدنيا من البدع، وتنجو في الآخرة من النار، وهي الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي لا تزال ظاهرة قائمة بأمر الله – عز وجل-"[مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (1/ 37)].

هذه بعض أقوال العلماء على اختلاف الأعصار والأمصار وهو غيض من فيض وقليل من كثير من ذكرهم لمصطلح الفرقة الناجية والذي كان مستندهم فيه حديث الافتراق آنف الذكر ،وقد بسط شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله الكلام عن هذا المصطلح وصفات أهله في مواطن كثيرة من كتبهما.

مع ملاحظة أن بعض من ذكر هذا المصطلح هو من القرن الرابع والخامس الهجري، فليس هذا المصطلح وليد الساعة، ولا هو من محدثات الأقوال والألفاظ.

فقه حديث الافتراق ومعنى الفرقة الناجية :

يفيد حديث الافتراق أن هذه الفرق من أمة الإسلام وأن الفرقة الناجية هي التي اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلكت منهج الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم. ولم تنح ناحية المحدثات والبدع في الدين، ولا عارضت الوحيين وأنشأت الفرق والأحزاب المخالفة .

وليس في الحديث تكفير لهذه الفرق أو الحكم بالتخليد لها في النار.

قال شيخ الإسلام رحمه الله :"فَمَنْ كَفَّرَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلَّهُمْ فَقَدْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ" [منهاج السنة النبوية (5/ 249-248)].

وحينما وصف ابن القيم رحمه الله الفرقة الناجية قال:"الفرقة الناجية حزب الرسول وأنصاره وبنك الإسلام وعصابة الإيمان الذين لم يتحيزوا إلى فئة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذهبوا إلى مقالة غير مادلت عليه سنته ولم ينتسبوا إلى غيره بوجه من الوجوه " [الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (4/ 1549)].

وفي بيان حال هذه الفرق المخالفة والسبب في إخراجها من الفرقة الناجية، يقول شيخ الإسلام :"وَلِهَذَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ بِأَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمْ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ.

وأما الفرق الباقية، فإنهم أهل الشذوذ، والتفرّق، والبدع، والأهواء،وَلَا تَبْلُغُ الْفِرْقَةُ مِنْ هَؤُلَاءِ قَرِيبًا مِنْ مَبْلَغِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ بِقَدْرِهَا بَلْ قَدْ تَكُونُ الْفِرْقَةُ مِنْهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ. وَشِعَارُ هَذِهِ الْفِرَقِ مُفَارَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ. فَمَنْ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ" [مجموع الفتاوى (3/ 346)].

فتبيّن من كلام شيخ الإسلام رحمه الله ، وغيره من أهل العلم ممن سبقوه ولحقوه وجاءوا بعده : أن أهل الفرق المخالفة المستحقة للعذاب هم المفارقون للجماعة الخارجون على الطاعة المخالفون لجماعة المسلمين وولي أمرهم، أهل الشذوذ والمخالفات والبدع والمحدثات، المعارضون للنصوص، والمفارقون لعقيدة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وسلف هذه الأمة.

شبهات وردود حول مصطلح الفرقة الناجية :

حاول بعض من لم يعظم السنة في قلبه، وسلك مسلك الهوى في التصحيح والتضعيف، وتكلّف الفهم والرد، حاول أن يثير بعض الشبه على حديث الافتراق، وفكان من جملة هذه الشبه، ما يأتي:

الشبهة الأولى : أن هذه الأمة أمة مرحومة فكيف يكون فيها ناجٍ وهالك، أو فرقة ناجية وفرق هالكة.

والرد على هذا القول :

أولا: لا يجوز إظهار التعارض بين النصوص الشرعية، فنصوص الشريعة كلها وحي من الله تعالى فلا تعارض بينها، سواء كانت نصوص من القرآن مع نصوص أخرى، أو نصوص السنة مع نصوص السنة ، أو نصوص الكتاب مع نصوص السنة والعكس. فالتعارض إنما هو في الأفهام القاصرة الضعيفة.

ثانيا: هناك عدة إجابات عن ذلك، ومن ذلك : أَنه يجوز أَن هَذِه الْفرق الْمَحْكُوم عَلَيْهَا بِالْهَلَاكِ قَليلَة الْعدَد لَا يكون مجموعها أَكثر من الْفرْقَة النَّاجِية فَلَا يتم أكثرية الْهَلَاك فَلَا يرد الْإِشْكَال ولَيْسَ ذكر الْعدَد فِي الحَدِيث لبَيَان كَثْرَة الهالكين وَإِنَّمَا هُوَ لبَيَان اتساع طرق الظلال وشعبها ووحدة طَرِيق الْحق "

ومن الجواب عن ذلك: أَن الحكم على تِلْكَ الْفرق بِالْهَلَاكِ والكون فِي النَّار حكم عَلَيْهَا بِاعْتِبَار ظَاهر أَعمالهَا وتفريطها كَأَنَّهُ قيل كلهَا هالكة بِاعْتِبَار ظَاهر أَعمالهَا مَحْكُوم عَلَيْهَا بِالْهَلَاكِ وَكَونهَا فِي النَّار، وَلَا يُنَافِي ذَلِك كَونهَا مَرْحُومَة بِاعْتِبَار آخر من رَحْمَة الله لَهَا وشفاعة نبيها صلى الله عليه وسلم وشفاعة صالحيها لطالحيها.

ومن الإجابات كذلك : أَن ذَلِك الحكم مَشْرُوط بِعَدَمِ عقابها فِي الدُّنْيَا وَقد دلّ على عقابها فِي الدُّنْيَا حَدِيث "أمتِي هَذِه أمة مَرْحُومَة لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَاب فِي الْآخِرَة إِنَّمَا عَذَابهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَن والزلازل وَالْقَتْل والبلايا" أخرجه الطَّبَرَانِيّ وَالْبَيْهَقِيّ، فَيكون حَدِيث الافتراق مُقَيّدا بِهَذَا الحَدِيث فِي قَوْله كلهَا هالكة مَا م تعاقب فِي الدُّنْيَا لَكِنَّهَا تعاقب فِي الدُّنْيَا، فَلَيْسَتْ بهالكة.

[انظر: افتراق الأمة للصنعاني رحمه الله(ص: 66) وما بعده].

الشبهة الثانية: قول كبيرهم المدعو يوسف القرضاوي : وهنا إشكال، في الحكم بافتراق الأمة أكثر من افتراق اليهود والنصارى من ناحية، وبأن هذه الفرق كلها هالكة وفي النار إلا واحدة منها، وهو يفتح بابا لأن تدعي كل فرقة أنها الناجية، وأن غيرها هو الهالك، وفي هذا ما فيه من تمزيق للأمة، وطعن بعضها في بعض، مما يضعفها جميعاً، ويقوي عدوها عليها، ويغريه بها"

والرد عليه في ذلك : أن هذا الرد هو تعليل عقلي محض، مخالف لوجوب التسليم للنصوص الشرعية، فليس فهم الأحاديث بالتشهي والهوى، وإنما بالتسليم، وليس تضعيفها بالرأي المجرد، بل التضعيف له قواعد مضبوطة، ونظر حديثي تعليلي متقن.

ولو عكس القرضاوي فهمه في قوله "وفي هذا ما فيه من تمزيق للأمة، وطعن بعضها في بعض، مما يضعفها جميعاً" لأصاب، فإن هذا الحديث يدعو إلى متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والبعد عن مخالفة هدي الصحابة والابتعاد عن المخالفة لذلك، حتى تتحقق النجاة.

فالافتراق لم يدل عليه هذا الحديث بمفرده، بل قول الله تعالى {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ } [هود: 118، 119] دليل ظاهر على أن الاختلاف أمر قدري كوني قدره الله على العباد، وليس معنى كونه قدريا أن يسعى العباد له، بل الواجب فعل الأسباب المشروعة للنجاة من الافتراق والاختلاف.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم :"من يعش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً " [سنن أبي داود 4607].

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم :" سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ

لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا " [أخرجه مسلم (4/ 2216)].

فالحديث كذلك يدل على حصول الافتراق في الأمة، وأعظم ما يكون الافتراق في أمر العقائد، حتى ظهر من ينتسب لهذه الأمة، وهو يطعن في القرآن، أو يكفر الصحابة، أو يسب أمهات المؤمنين، ومن ينتسب لهذه الأمة، وهو ينفي عن الله ما سمى به نفسه ووصف به نفسه.

فالواقع يدل على ماذكر في هذه النصوص وغيرها.

يقول ابن جماعة الشافعي رحمه الله:" وَكَانَ مَا لَا بُد أَن يكون وَوَقع مَا قدر الله تَعَالَى وُقُوعه وقضاه وَهُوَ أَن تفترق أمة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِلَى ثَلَاث وَسبعين فرقة كلهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَة وَهِي الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وصحابته رَضِي الله عَنْهُم" ثم ذكر بعض الكتب التي ألفت في الفرق، ثم قال :"وَالَّذِي ندير فِيهِ الحَدِيث هُنَا أَن تِلْكَ الْفرق يُمكن بِشَيْء من التمحل والتنزل أَن تجْعَل طرفين حادين وهما منحرفان ووسط هُوَ الْعدْل وَالْحق، – ثم قال – : وَالْوسط السَّلِيم الْمُسْتَقيم يُؤمن بِاللَّه تَعَالَى وَصِفَاته جَمِيعهَا وينزهه سُبْحَانَهُ عَن المشابهة والجسمية وَيثبت لله تَعَالَى من الصِّفَات مَا أثْبته لنَفسِهِ وأثبته لَهُ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهَذَا هُوَ الَّذِي بعث رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِهِ وَعلم أَصْحَابه إِيَّاه وَهُوَ الَّذِي

خلف عَلَيْهَا أَصْحَابه ثمَّ خِيَار التَّابِعين وَالْعُلَمَاء الفاقهين وَمِنْهُم الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة ومدارسهم وأمثالهم من الْعلمَاء الصَّالِحين فِي زمانهم وَبعد زمانهم وَهُوَ وسط صَحِيح حق بَاقٍ إِلَى قرب قيام السَّاعَة بِإِذن الله تَعَالَى والساعة لَا تقوم وَفِي النَّاس مَا يَقُول الله الله كَمَا جَاءَ فِي صَحِيح مُسلم".[إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص25)].

الشبهة الثالثة: قولهم باضطراب الحديث لوروده بألفاظ مختلفة:

وهذه الدعوى لا برهان لها، فالحديث قد يروى من وجوه كثيرة وبألفاظ مختلفة لتعدد الورود، أو لرواية البعض بالمعنى ونحو ذلك من التوجيهات، بل العكس رواية حديث الافتراق من طرق مختلفة وبأسانيد إما صحيحة أو حسنة هو زيادة دليل على ثبوته وقبوله.

ولم يكن هذا الحكم على الحديث بالاضطراب إلا لمجرد الهوى ونصرة الفكر المخالف للحق والهدى، وما أحسن قول العلامة النووي رحمه الله، حين وقف كهذا الموقف مدافعا عن حديثٍ حُكم عليه بالاضطراب دون دليل وبرهان فقال رحمه الله:"وَمِنْهَا أَنَّ بَعْضَهُمْ زَعَمَ أَنَّهُ مُضْطَرِبٌ وَهَذَا غَلَطٌ ظَاهِرٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى رَدِّ السُّنَنِ بِمُجَرَّدِ الْهَوَى وَتَوْهِينِ صَحِيحِهَا لِنُصْرَةِ الْمَذَاهِبِ" [شرح النووي على مسلم (10/ 30)].

وإليك بعضا ممن نطق بصحة حديث الافتراق وقال بثبوته :

قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله – :"وإن كان بعض الناس كابن حزم يضعف هذه الأحاديث، فأكثر أهل العلم قبلوها و صدقوها" [الفتاوى(16/491)].

وممن صحح الحديث:

الترمذي : حيث قال :"حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ". [السنن(4/ 322)].

وقال الحاكم رحمه الله: "هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث" [المستدرك(1/218)]، ووافقه الذهبي رحمه الله في "تلخيص المستدرك".

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "التفسير (4/ 361) :" كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ فِي الْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ، مِنْ طَرْقٍ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا".

وقال الحافظ العراقي رحمه الله في "تخريج الإحياء"(3/230): أسانيده جياد"

وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (6/350) : "رجاله ثقات"

وقال البوصيري رحمه الله في "الزوائد": "إسناده صحيح، رجاله ثقات"

مع التنبيه إلى أن كل من سبق ممن ذكر الحديث فهو يستدل به بناء على صحته عنده.

خطورة القول بأن كل من ينتسب للأمة فهو الفرقة الناجية:

يلزم من القول بأن أمة الإسلام كلها هي الفرقة الناجية، لوازم باطلة، ومن ذلك :

أولا: إبطال النصوص الواردة في التحذير من البدع والمبتدعين :

كقول الله تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).(سورة الأنعام آية رقم 68)

قَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مِنْدَادَ المالكي رحمه الله: "مَنْ خَاضَ فِي آيَاتِ اللَّهِ تُرِكَتْ مُجَالَسَتُهُ وَهُجِرَ، مُؤْمِنًا كَانَ أَوْ كَافِرًا " [تفسيرالقرطبي (7/ 13)]

وقال القرطبي المالكي رحمه الله نقلا عن ابن العربي المالكي رحمه الله :"قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنَعَ أَصْحَابُنَا الدُّخُولَ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ وَدُخُولِ كَنَائِسِهِمْ وَالْبِيَعِ، وَمَجَالِسِ الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ، وَأَلَّا تُعْتَقَدَ مَوَدَّتُهُمْ " [تفسيرالقرطبي (13/7)].

ومن تلك النصوص كذلك قوله صلى الله عليه وسلم :«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » [صحيح البخاري (3/ 184) وصحيح مسلم (1342/3)].

وعند مسلم : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » [صحيح مسلم (3/ 1343)].

وغير هذه من النصوص، فإذا كانت الأمة كلها هي فرقة ناجية فما فائدة التحذير من البدع والمحدثات، وماهو الموقف ممن ينشيء للناس عبادات لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!!

ثانيا: في هذا القول إبطال لآثار الصحابة في الرد على البدع والتنفير من المحدثات، وكذا الرد على سلف هذه الأمة في ذلك.

فقد ورد عن الصحابة الكثير من الآثار في ذلك، ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: ((ما في الأرض قوم أبغض إلي من أن يجيئوني فيخاصموني من القدرية في القدر، وما ذاك إلا أنهم لا يعلمون قدر الله وأن الله عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)) [رواه الآجري في الشريعة].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه :"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم."

و بلغ عبد الله بن عمر أن معبد الجهني قد ابتدع بدعة القدر فكان يقول"إنه لا قدر وان الأمر أنف" فقال ابن عمر: "أخبرهم أني برئ منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر.

وقال شعبة –رحمه الله-: "كان سفيان الثوري يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهي" [أخرجه نصر المقدسي في مختصر الحجة ص:460].

وقال الإمام مالك رحمه الله: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا قد خان الرسالة لأن الله تعالى يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دين فلا يكون اليوم دينا". [الاعتصام للشاطبي 65/1].

وكتب الآثار مليئة بالآثار الواردة عن سلف الأمة وأئمة المذاهب في التحذير من البدع والمحدثات.

ثالثا: هذا القول فيه تسويغ للخوارج سابقا ولاحقا، ومن أولئكم في عصرنا الدواعش والقاعدة والسلفية الجهادية، وغيرهم من فرق الخوارج المعاصرين، فلا شك أن هؤلاء من الفرق الهالكة التي يجب التحذير منها، والبيان لسبيلها المعوجّ، ومنهجها الخطير التدميري.

فإن كان كل من انتسب للإسلام فهو من الفرقة الناجية فلماذا التحذير من هذه الفرق، ولماذا التضييق عليهم ؟!!.

بل الصواب أنها فرق هالكة يجب على الولاة والعلماء التحذير منهم وبذل الأسباب في حفظ الناس وأديانهم من هذه المحدثات والضلالات التي تنتسب للإسلام زورا وبهتانا وكذبا.

رابعا :في القول بأن كلّ من انتسب للأمة فهو من الفرقة الناجية: التسوية بين أهل العلم والسنة بغيرهم من أهل الضلالات والعبادات المخترعة، وهذا لا شك أنه ظلم بيّن، وجور واضح، وقسمة ضيزى؛ لا برهان لها، بل البرهان في ردها ونقضها وإبطالها.

خامسا: في هذا القول ردّ ضمني على موقف الولاة من أهل الضلالات الخارجين على الأمة والداعين إلى نزع يد الطاعة عن ولاة الأمر.

فكيف بالله يكون– مثلا– الإخوان المسلمون من الفرقة الناجية، وهم يحرضون على الخروج ؟!، ويجتهدون في نقض البيعات عن ولاة أمور المسلمين ؟!، بل وهم الممهدون لكل فرق الخوارج المعاصرة ، فمن رحمها خرجت القاعدة والسلفية الجهادية والدواعش، ومقالات هؤلاء وكتبهم وصوتيات كبرائهم ومن كان معهم شاهدة بذلك !!.

أخيرا : ليست مسألة إنكار مصطلح الفرقة الناجية مجرد اختلاف لفظي أو من باب الرأي والرأي الآخر، فليس الدين بالتشهي، ولا بالهوى، بل بالدليل والبرهان، والحجة الظاهرة.

وأما غير ذلك من الآراء المجردة والتي هي من زبالات الأفكار القاصرة فلا يجوز نسبتها للدين، ولا يصح الجدال في ذلك.

فالكلام في الدين والمسائل الشرعية له أهله الذين هم أهله، وليس لكل أحدٍ أن يتحدث في الدين بما شاء عما شاء.

اللهم اصرف عن أهل الإسلام الفتن ما ظهر منها وما بطن، ووفقنا جميعا وولاة أمرنا وقادتنا إلى اتباع كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم وسبيل الصحابة الكرام، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وكتبه د. محمد بن غالب العُمري

10 رجب 1438هـ

2017/4/8م

